أبحاث الإيمان :

●متن الطحاوية [والإيمان هو الإقراربالسان،والتصديق بالجنان]

●[والإيمان واحد ،وأهله في أصله سواء ،والتفاضل بينهم بالخشية والتقى ،ومخالفة الهوى ،وملازمة الأولى]

●ماقاله الشيخ عبد العزيز بن باز في تعليقه على المتن

●القول بأن الإيمان واحد وأهله في أصله سواء هذا فيه نظر بل هو باطل فإن أهل الإيمان متفاوتون ،فإيمان الرسل ليس كإيمان غيرهم،وهذا بحسب مافي القلب من العلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته،وهذا قول السنة والجماعة خلافاً للمرجئة ومن قال بقولهم .

●اختلاف الناس في مسمى الإيمان

أولاً :قالت الأئمة مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وابن راهويه وأهل المدينة بأنه مركب من تصديق وإقرار
و عمل . وقالت الحنفية بأنه إقرار وتصديق .
وقال الماتريدي أن الإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلي.
وذهبت الكرامية إلى أن الإيمان هوالإقرار باللسان فقط.
وذهب الجهم بن صفوان وأبو الحسن الصالحي إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب.

الرد على الكرامية والجهمية

المنافقون عند الكرامية مؤمنون كاملو الإيمان لأنهم يقرون بألسنتهم ،وإن قالوا بأنهم يستحقون الوعيد فإن
قولهم ظاهر الفساد.
أما قول الجهمية والصالحية فهو أظهر فساداً ً مما قبله **فإن لازمه أن فرعون وقومه كانوا مؤمنين ،لمعرفتهم**
صدق هارون وموسى عليهما السلام (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا)النمل١٤ بل إبليس عند
الجهم مؤمن كامل الإيمان.فإنه لم يجهل ربه،بل عرفه قال تعالى(قال رب فانظرني إلى يوم يبعثون)الحجر٣٦
والكفر عند الجهم هو الجهل بالرب تعالى ولا أحد أجهل منه بربه.

●حقيقة الخلاف بين أبي حنيفة والائمة

أنه خلاف صوري،لقول الأحناف بأن أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب /أو جزءاً من الإيمان ،مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لايخرج من الإيمان ،بل هو في مشيئة الله،إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه نزاع لفظي لايترتب عليه فساد اعتقاد.

رأي الشيخ بن باز

قال الشيخ ابن باز[وإخراج العمل من الإيمان قول المرجئة ،وليس الخلاف بينهم وبين السنة لفظياً ،بل هو لفظي ومعنوي ،ويترتب عليه أحكام كثيرة .
ويرى ابن تيمية أن الخلاف حقيقي في أمور منها:

١/أن القول بإخراج العمل من مسمى الإيمان يؤدي إلى القول بأن من ترك العمل كلية لايكفر خلافاً
لأهل السنة والجماعة .
٢/إخراج العمل عن مسمى الإيمان ينبني عليه القول بعدم تفاضل أهل الإيمان ،وهذا مخالف لما اتفق عليه السلف .
٣/من ثمرات القول بإخراج العمل من مسمى الإيمان منع الاستثناء في الإيمان ،فلا يجوز عندهم أن يقول المرء أنا مؤمن إن شاء الله ،فالشك في الإيمان عندهم يذهبه.

● خطر الخلاف بين الفقهاء في حقيقة الإيمان

١/مايحصل من افتراق وعدوان بين الفرق.
٢/فيه ذريعة إلى بدع أهل الكلام المذموم من أهل الإرجاء وغيرهم.
٣/ظهور الفسق والمعاصي بأن يقول الفاسق أنا مؤمن كامل الإيمان ،كما قالت المرجئة[لايضر مع الإيمان ذنب لمن عمله،وهذا باطل قطعاً.
الإمام أبو حنيفة نظر إلى حقيقة الإيمان لغة وذهب الآخرون إلى حقيقته في عرف الشارع.فإن الشارع ضم إلى التصديق أوصافاً وشرائط ،كما في الصلاة والزكاة.

أدلة الحنفية في إخراج العمل عن مسمى الإيمان

١/أن الإيمان لغة يعني التصديق قال تعالى(ومأأنت بمؤمن لنا)يوسف١٧ أي مصدق .
٢/أن المعنى اللغوي واجب على العبد حقاً لله تعالى،فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى ،والإقرار شرط في إجراء أحكام الإسلام في الدنيا.
٣/لأن الإيمان ضد الكفر ،وهو التكذيب والجحود ،وهما يكونان في القلب ،فكذا مايضادهما.وقوله تعالى(إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان)النحل ١٠٦
٤/لو كان مركباً من قول وعمل لزال كله بزوال بعضه.
٥/عطف العمل على الإيمان يقتضي المغايرة قال تعالى(آمنوا وعملوا الصالحات)في مواضع كثيرة.

● مناقشة الدليل الأول

١/عدم الترادف بين التصديق والإيمان والدليل أننا نقول للمخبر صدّقه ولا نقول آمنه .
٢/كل مخبر عن مشاهدة أو غيب ،يقال له في اللغة صدقت أو كذبت ،أما لفظ الإيمان فلا يستعمل إلا في الخبر عن الغائب. فنقول للقائل طلعت الشمس صدقت.
٣/لو اعتمدنا الترادف فالتصديق يكون بالأفعال ايضاً دليلنا قوله صلى الله عليه وسلم[العينان تزنيان ،وزناهما النظر]

مناقشة الدليل الثاني

قال جمهور العلماء في ردهم على الأحناف إن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أعلمنا معاني الإيمان ،وأن من صدق ولم يتكلم بلسانه بالإيمان مع عدم المانع ،ولم يصل ولم يزك،ولم يحب الله ورسوله ،بل عاداهما ،فهو كافر بإتفاق ،ولايكون الفوز إلا بالإقرار مع الإخلاص والعمل.

مناقشة الدليل الثالث

لايقابل لفظ الإيمان بالتكذيب كما يقابل لفظ التصديق وإنما يقابل بالكفر ،والكفر لايختص بالتكذيب ،بل القائل بأنه يعلم صدق النبي لكنه يعاديه فإن كفره أعظم.
فليس الإيمان هو فقط التصديق ،ولا الكفر هو فقط التكذيب .فالتصديق يكون معه الموالاة والانقياد والكفر يعني التكذيب والمعاداة والمخالفة بلا تكذيب.

قال الجمهور ان القول قسمان قول القلب وهو الاعتقاد ،وقول اللسان وهوا لتكلم بكلمة الإسلام .أما العمل فهو عمل القلب [النية والإخلاص]وعمل الجوارح وإذا زالت الأربعة زال الإيمان كله وأهمها التصديق لأن بقية الأجزاء لاتنفع دونه .

ويلزم من عدم طاعة الجوارح عدم طاعة القلب إذ لوأطاع القلب وانقاد لأطاعت الجوارح.قال صلى الله عليه وسلم (إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد ألا وهي القلب)أخرجه البخاري.

مناقشة الدليل الرابع

القول أنه بزوال الجزء يزول الكل ،فإن أريد به زوال الهيئة الاجتماعية فمسلم ،ولايلزم من زوال البعض زوال سائر الأجزاء ،بل يزول الكمال فقط ،ومعلوم أن الإيمان بضع وسبعون درجة أعلاه قول لاإله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق.ومن شعب الإيمان مايزول بزوالها كالشهادتين.

مناقشة الدليل الخامس:

أما القول بأن عطف العمل على الإيمان يقتضي المغايرة ،فغير صحيح ،لأن الإيمان تارة يذكر منفرداً وتارة مقترناً بالعمل وتارة بالإسلام فإذا جاء منفردا لزمه العمل قال تعالى(إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم)الأنفال٢

أما إذا عطف عليه العمل الصالح ،فاعلم أن عطف الشيء على الشيء يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع الاشتراك في الحكم الذي ذكر لهما ،والمغايرة على مراتب:

أعلاها :التباين،كقوله تعالى(خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور)الأنعام ١

ويليه :التلازم كقوله تعالى(ولاتلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون)البقرة٤٢

الثالث :عطف بعض الشيء على بعض كقوله(حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى البقرة٢٣٨

أوجه العطف: ١/أن يكون داخلاً في الأول ويذكر مكرراً كالمثال السابق. ٢/تنوع الدلالة بالإفراد والاقتران .(الفقر والمسكنة).

٣/:العطف لاختلاف الصفتين ،كقوله تعالى (غافر الذنب وقابل التوب)غافر٣

٤/وجاء في الشعر لاختلاف اللفظ كقوله:فألفى قوله كذباً ومينا

● الإيمان المطلق والمقيد

إن الإيمان إذا أطلق كان معناه البر والتقوى والدين وفي حديثه صلى الله عليه وسلم لوفد عبد قيس (أتدرون مالإيمان بالله؟شهادة أن لاإله إلا الله وإقام الصلاة وإتاء الزكاة وأن تؤدوا الخمس من المغنم)ومن الحديث علم أن الإيمان هو إيمان القلب مع كل هذه الأعمال .فإنه فسر الإيمان بالأعمال ولم يذكر التصديق للعلم أن هذه الأعمال لاتفيد مع الجحود..

● **تفاضل أهل الإيمان**

الإيمان يتفاضل هذا مايقوله أهل السنة خلافاً لمن يقول أن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان .إن الكفر مع الإيمان كالعمى مع البصر ولاشك أن البصراءيختلفون في قوة البصر وضعفه ،فمنهم الأخفش والأعشى .ولعل الشيخ الطحاوي قد أراد إلى أن التساوي إنما هو في أصله ولايلزم في كل شيء،فإن تفاوت نور لاإله إلا الله في قلوب أهلها لايحصيه إلا الله تعالى،والرجل أول مايسلم ،إنما يجب عليه الإقرار المجمل ،ثم إذا جاء وقت الصلاة كان عليه أن يؤمن بوجوبها ويؤديها ،فلم يتساوى الناس فيما أمروا به من الإيمان.

● زيادة الإيمان ونقصانه

التصديق المستلزم لعمل القلب والجوارح أكمل من التصديق الذي لايستلزمه .فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لايعمل به صاحبه ،فإذا لم يحصل اللازم دل على ضعف الملزوم.

الأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه :

قال تعالى (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً)الأنفال٢

(ويزداد الذين آمنوا إيماناً)المدثر٣١

من السنة النبوية:حديث شعب الإيمان .

وحديث (لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)والمراد نفي الكمال.

من أقوال الصحابة

كان ابن مسعود يقول في دعائه (اللهم ودنا إيماناً ويقيناً وفقهاً)وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه أته قال (ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان إنصاف من نفسه والإنفاق من اقتار وبذل السلام للعالم .

كيف تكون الزيادة

تكون الزيادة في الطاعات والمعاصي (الأعمال)والأصح أن التصديق نفسه مما يقبل الزيادة والنقصان قال الإمام النووي [الأظهر أن نفس التصديق يزيد بكثرة النظر وتظاهر الأدلة ، ولهذا يكون إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم بحيث أنه لايتزلزل إيمانهم بعارض .

● الإسلام والإيمان والإحسان

الدين كما ورد في الحديث هو الإسلام والإيمان والإحسان وهو درجات ثلاث مسلم ثم مؤمن ثم محسن

والإيمان لايتجردعن الإسلام والإحسان لايتجرد عن كليهما .قال تعالى(ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله)فاطر٣٢

١/المقتصد والسابق كلاهما يدخل الجنة بلا عقوبة بخلاف الظالم لنفسه فهو معرض للوعيد،وكذا من أتى بالإسلام الظاهر مع التصديق بالقلب لكن لم يقم بالإيمان الباطن.

بين الإيمان والإسلام والإحسان من العموم والخصوص

الإحسان أعم من جهة نفسه وأخص من جهة أهله وكذا الإيمان أعم من جهة نفسه واخص من جهة أهله من الإسلام ،والمحسنون أخص من المؤمنين والمؤمنون اخص من المسلمين.

اقوال الناس في مسمى الإسلام

١/الإسلام هو الكلمة.

٢/الإسلام هو الإيمان .

٣/الإسلام هو الأعمال الظاهرة والإيمان أن نؤمن بالأصول الخمسة

القول الأول

أما القول الأول فقد ضعفه الحكمي في معارج القبول وشكك في نسبته للزهري وإن صح فلعل فيه إسقاط الواو والصحيح الإسلام والإيمان والعمل،وقال الإمام ابن تيمية لعل الإمام أحمد والزهري

إنما قصدا كون الإسلام الكلمة بتوابعها ،والعمل يصدق أن مافي القلب إيماناً لأن مافي القلب مستلزم للعمل الظاهر وانتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم.

القول الثاني

القول بالترادف على كل حال لم يقله أهل السنة بل قاله بعض المعتزلة والخوارج ،وجوزه السلف في حال الإنفراد أما التسوية بينهما على كل حال فلا تجوز.

القول الثالث

وهو الصحيح لقوله صلى الله عليه وسلم (اللهم لك أسلمت وبك آمنت)وأراد بالإسلام الأعمال الظاهرة وبالإيمان الأصول الخمسة .

‘‘‘

بالتوفيق للجميع .. khaled